ISSN (E) : 2616 – 7808 I ISSN (P) : 2414 - 7419

مجلة كلية الكوت الجامعة

K.U.C.J

Vol. 5 Issue 1 2020 5th Year

تاثير الفكر الغربي على النسيج الحضري للمدن الاسلامية

م.م. مروة موفق كاظم[1] و أ.م.د. ساهر محمد القيسي[2]

قسم الهندسة المعمارية / كلية الفارابي الجامعة

[1] marwaalzaidy@alfarabiuc.edu.iq and [2]saherm_kaissi@yahoo.com

المستخلص

ان التسارع الهائل في جميع المجالات الحضرية ولاسيما في الدول المتقدمة حدا بالدول النامية أخذ هذه المنجزات وتطبيقها كما هي في أغلب الأحيان، وذلك للحاق ومواكبة الركب العالمي في التحضر، ونتيجة لهذا ظهرت سلبيات وايجابيات متداخلة أدت إلى إرباك النظام العام والاستقرار في أتخاذ القرارات المناسبة في الدول النامية وبذلك اصبح النسيج الحضري لهذه المدن مسرحا للتجارب، بخاصة إن لم تكن هذه القرارات مأخوذة بشكل انتقائي مدروس، وهذا ما نتج عنه معاناة مدننا من التباين غير المتجانس ضمن النسيج الحضري وتفاصيله والناتج عن التأثيرات والتفاعلات المستوحاة بصورة مباشرة وبين ما يحصل من متغيرات وتطورات في المجتمعات الأخرى نتيجة للقرارات غير المدركة لبيئتنا الحضرية وخصوصيتها الاجتماعية. وبما أن التفاعل مع التحضر مطلوب للتغير والتطور، لذلك ينبغي أن يكون هذا التطور بشكل انتقائي تفرضه طبيعة المجتمع وبيئته ضمن المكان والزمان، من هنا تبلورت مشكلة البحث، اذ يعاني النسيج الحضري لمدننا العربية اليوم من تلاشي للشخصية والصفات المميزة، وفقدان للهوية الحضارية العريقة وأصبح نسيجنا الحضري خليطاً من الطرز المستوردة والغريبة عن بيئتنا وثقافتنا، لذلك سنسلط الضوء ضمن هذا البحث على مراحل تأثير الفكر الغربي على المدن الإسلامية بصورة عامة، وأهم الاسباب والمشاكل التي يعاني منها النسيج الحضري التي تتشاطر بها اغلب المدن الإسلامية المعاصرة، فضلا عن ذلك تحديد اهم الوسائل التي عززت تاثرنا بالفكر الغربي، وبالنتيجة سيقودنا ذلك الى تحديد السلبيات والايجابيات الناجمة عن هذا التاثير، ومن ثم تلافي النتائج السلبية مستقبلا عند تطوير وتصميم وتخطيط المدن من خلال الاخذ بنظر الاعتبار بيئتنا الثقافية والطبيعية وتعزيز الهوية الحضرية لمدننا المعاصرة.

الكلمات المفتاحية : البيئة الثقافية، البيئة الطبيعية، المدن الإسلامية.

The impact of western thought on the urban fabric of Islamic cities

Marwa Moafac Cadim[1] and Saher Mohammed Al-Qaisi[2]

Al-Farabi University College / Architecture Department

[1] marwaalzaidy@alfarabiuc.edu.iq and [2]saherm_kaissi@yahoo.com

Abstract

The tremendous acceleration in all urban areas, especially in the developed countries. This has led to the developing cities taking these achievements and applying them as they are in most cases, in order to catch up and keep pace with the global trend in urbanization. As a result, overlapping negatives and positives emerged, which confused the public order and stability in taking appropriate decisions in the developing countries. Thus, the urban fabric of these cities became a stage for experiments, especially if these decisions were not taken selectively and deliberately.

This has resulted in the suffering of our cities from the heterogeneous variation within the urban fabric and its details and the result of the direct effects and interactions among the changes and developments taking place in other societies as a result of the decisions that are not aware of our urban environment and its social nature. Since the interaction with urbanization is required for change and development, therefore this development should be selective imposed by the nature of society and its environment within the place and time. From here, the research problem crystallized, as the urban fabric of our Arab cities today suffers from the disappearance of personality and distinctive characteristics and a loss of ancient civil identity and our urban fabric has become a mixture of imported and exotic styles of our environment and culture Therefore, we will highlight in this research the stages of the influence of Western thought on Islamic cities in general and the most important causes and problems that the urban fabric suffers from and which most contemporary Islamic cities share. In addition to identifying the most important means that have strengthened our influence with Western thought, and as a result this will lead us to identify the negatives and positives resulting from this influence and thus avoiding negative results in the future when developing, designing and planning cities through taking into consideration our cultural and natural environment and thus enhancing the urban identity of our contemporary cities.

Keywords : urban fabric, urban environment, Islamic cities.

المقدمة

النسيج الحضري للمدن الاوربية منذ القرن السادس عشر مكون من شوارع مستقيمة ومتقاطعة مقحمة وقسرية على النسيج الحضري لمدن العصور الوسطى. هذه الشوارع تعرف بإسم الـ Boulevard وهي عبارة عن شوارع عريضة ومستقيمة تكتنفها الأشجار من الجانبين، استمر هذا التشكيل حتى مع بزوغ الثورة الصناعية، واستمر النظام الفضائي العام للنسيج الحضري قائما على أساس هذا المفهوم، الذي يتكون من أبنية عامة تمتد على طول هذه الشوارع وسلسلة من الساحات المركزية التي تحدد التقاطعات المهمة وهذا التنظيم من أهم خصائص وسمات النسيج الحضري للمدن الغربية. ولكن ما يؤسف له أن هذه المبادئ التخطيطية الغربية تمكنت من الزحف إلى البلدان الإسلامية، وكانت بداية تدرج هذا التأثير من الإمبراطورية العثمانية التي تعدُّ أخر فترة من فترات الحضارة الإسلامية. وكان هذا التأثير طفيفاً نسبيا ولكن مع مرور الوقت تغلغلت هذه الأفكار الى عمق نسيجنا الحضري.

مشكلة البحث

- يعاني النسيج الحضري لمدننا العربية اليوم من تلاشي للشخصية والصفات المميزة، وفقدان للهوية الحضارية العريقة.
- أصبح نسيجنا الحضري خليطاً متضاربا من النسيج الحضري التقليدي والطرز المستوردة والغريبة عن بيئتنا وثقافتنا.

هدف البحث

الوقوف على مراحل تأثير الفكر الغربي على المدن الإسلامية بصورة عامة وأهم الاسباب والمشاكل التي يعاني منها النسيج الحضري التي يتشاطر بها اغلب المدن الإسلامية المعاصرة.

فرضية البحث

مواكبة التطور العالمي في جميع المجالات الحضرية على ان يكون بشكل انتقائي مدروس من خلال اعادة تكييفه، ليتلائم مع البيئة الثقافية والطبيعية للمدن الإسلامية.

1- الغزو الثقافي للفكر الغربي للمدن العربية المعاصرة

1-1 الثورة الصناعية

القاعدة الأساسية لهذه الفترة تقوم على أساس النظام الصناعي في الإنتاج هذا النظام أدخل علاقات جديدة وتأثيرات هائلة على المجتمع والبيئة المبنية. وتعدُّ الثورة الصناعية واحدة من أهم نقاط التحول في تاريخ البشرية وتبعاً لظروف العمل وأنماط الحياة، فأن مفاهيم التصميم الحضري وتشكيل النسيج تغيرت تغير جذري وما زالت تتغير بمعدل متزايد أكثر من أي وقت مضى. فالنسيج الحضري عانى معاناة عميقة وشديدة من هذا العصر الجديد، الذي قد تسبب بتدمير جزء كبير من بيئتنا الثقافية والطبيعية.

1-1-1 الثورة الصناعية وتأثيرها على النسيج الحضري للمدن الغربية

تعدُّ التكنلوجيا بمثابة أحد العوامل الأساسية التي تؤثر على معايير تصميم وتشكيل النسيج الحضري الذي بدوره يؤثر بصورة مباشرة على أنشطة الانسان وعلاقاته الاجتماعية، **فالثورة الصناعية اعتمدت أساسا على استخدام الالة ومصادر الطاقة الجديدة التي أثرت على تصميم المدينة وتشكيل نسيجها الحضري ليس فقط في أوربا وانما في أجزاء أخرى من العالم، الى جانب العوامل الثقافية الأخرى التي كان لها دور اقل هيمنة من عامل التكنلوجيا.**

أدت التطورات التكنلوجية للثورة الصناعية والتغيرات الاقتصادية الناجمة عنها الى هجرة أعداد كبيرة من السكان من الريف إلى المدينة، مما أدى إلى زيادة نمو المستوطنات الحضرية التي بدورها أصبحت غير قادرة على استيعاب التدفق والنمو الطبيعي للسكان، فضلا عن إلى تدهور الأوضاع الحضرية وظهور مشاكل اجتماعية واقتصادية أخرى. وأدى الاكتظاظ السكاني وانتشار الأمراض والاوبئة نتيجة هذا الاكتظاظ إلى الحاجة لتوفير ظروف صحية ملائمة، وخلق بيئة معيشية أفضل. **وفي هذه المرحلة التقت العمارة مع الصحة العامة** وكان نتيجة هذا الارتباط ظهور مجموعة من التشريعات والإجراءات القانونية التي تضمن خلق ظروف صحية ملائمة عن طريق:

- اخضاع الأبنية للقوانين التي من شانها التحكم في عرض الشوارع.
- التحكم في تخطيط وتصميم الأبنية وارتفاعاتها.

وتمثل هذه الإجراءات تقدماً ملحوظاً في السيطرة الاجتماعية، ومهدت الطريق لاتخاذ تدابير مبتكرة (**AL-Kaissi, 1983, p465**) فبدأوا بالبحث والتقصي عن الحلول والطرق في سبيل السيطرة على هذه النقلة النوعية وتوصلوا إلى طريقتين **(Jaber, 2013, P38)**:

أ -معالجة **المدن القائمة** عن طريق استحداث أنظمة وقوانين لتقسيم الأراضي وتنظيمها ومثال ذلك إعادة تخطيط مدينة باريس من قبل Haussmann [1]

ب -إعادة **تشكيل مدن جديدة**، فظهرت أفكار المدن الحدائقية التي وضع أسسها Ebenezer Howard [2]

أ - معالجة المدن القائمة للنسيج الحضري الغربي

إعادة تشكيل النسيج الحضري لمدينة باريس من قبل Haussmann كان في الواقع استجابة لحاجة نظام الحكم في تلك الفترة للحماية من أي تهديد مستقبلي من ثورات أو احتجاجات أو تمرد التي يمكن أن تستمر ضد الدولة و القوات العسكرية التابعة لها كما كانت تحدث في فترات سابقة (كالثورة الفرنسية بسبب غياب العدل الاجتماعي). ولقد عكس تشكيل النسيج أيضا الحاجة لمسايرة التطور التكنلوجي الذي أنجبته الثورة الصناعية بخاصة في مجال حركة النقل بالسكك الحديدية **(Serag , 2013 , p4)** . **و بناءا على ذلك شقت الشوارع الواسعة والقسرية المنتظمة قاطعةً النسيج الحضري القائم. هذا التشكيل سهل عمل القوات العسكرية على التدخل السريع في الوقت المناسب وأتاح النفوذ إلى معظم الاحياء السكنية ومن ثم أتاح امكانية السيطرة بسهولة على الاحتجاجات أو التظاهرات التي قد تحدث ومنع انتشارها.**

وتعزيزا لما ذكر، قام Haussmann بعزل الأبنية النصبية المهمة، وافرغ ما حولها من الكتل المحيطة بها، وربط الأبنية النصبيه مع بعضها عن طريق المحاور الحركية والبصرية لتؤكد على هيمنتها. لاحظ الشكل (1) (2). ويُعتَقد بأن هذه المعالجات أسهمت أيضا في تحسين الظروف الصحية من خلال زيادة الفضاءات المفتوحة وشق الطرق الواسعة ليتخلل الضوء جميع الفضاءات الحضرية **(Panerai and others , 2004 , p8)**.

بالنتيجة أصبح النسيج ذا تشكيل قسري، حصر بين مساراته الحركية قطع أراض غير منتظمة جاءت كتحصيل حاصل من تداخل شبكة الطرق مع بعضها، وشبكة الطرق هذه كل جزء فيها ينتمي إلى شبكة نجمية الشكل تشع من ساحة دائرية.

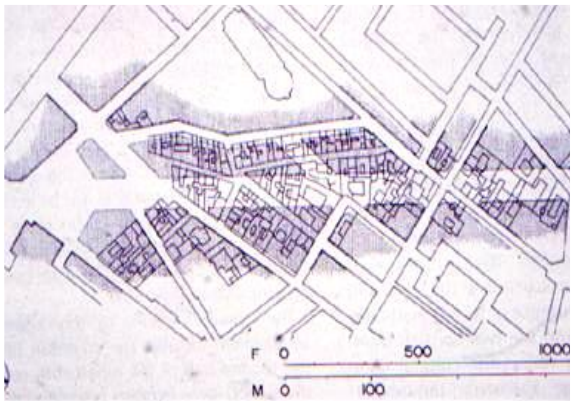

شكل (1) اختراق الشارع الواسع الـ Boulevared للنسيج الحضري التقليدي لمدينة باريس وازالته ضمن تحديثات haussmenn .
المصدر/ Paraskevas,2011,p3

شكل(2) يوضح مخطط Haussmann لمدينة باريس بعد اجراء المعالجات الجديدة .
المصدر/ Jaber, 2003,p54

ب-إعادة تشكيل مدن جديدة (مفهوم المدن الحدائقية)

مفهوم المدن الحدائقية ظهر كرد فعل للاكتظاظ السكاني في مراكز المدن بعد الثورة الصناعية وما أنتجته من مشاكل بيئية وصحية على المجتمع. تكمن فكرة هذا المفهوم

في اللجوء للطبيعة كمحاولة لتقليل الزخم السكاني من مراكز المدن إلى مناطق تحقق نوعا ما بيئة مثالية للعيش، إذ انها جمعت ما بين إيجابيات كل من المدينة والريف وتخلت عن السلبيات الناجمة عنهما في مناطق مكتفية ذاتيا محاطة بحزام من الفضاءات العامة الخضراء لاحظ الشكل (3). موقعه عادة عند ضواحي المدن وتتكون من وحدات سكنية تختلف في الحجم ولكن جميعها تمتلك هي الأخرى فضاءات خضراء خاصة بها **(Burke, 1975, p148)** .

تأثرت بهذه الأفكار سلسلة كبيرة من المجتمعات وأصبحت نموذجاً نمطياً اعتمد الى حد كبير في اغلب المدن الاوربية والولايات المتحدة الامريكية عند تنمية واستحداث ضواح سكنية جديدة لاسيما بعد اكتشاف السيارة كإحدى التطورات التكنلوجية لذلك الزمان و المكان **(Johnson , 2008 , p3)**.

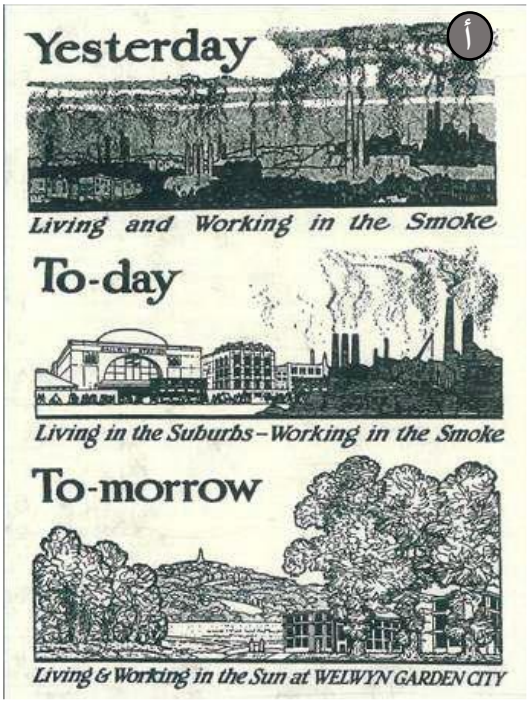

شكل (3) يوضح افكار المدن الحدائقية .
أ- شكل يوضح ما الت اليه المدن عند قيام الثورة الصناعية وما ستكون عليه نتيجة أفكار المدن الحدائقية ب -شكل يوضح المغانط الثلاث كما رسمها هاورد

المصدر/ Al-Kaissi, 1983,p471

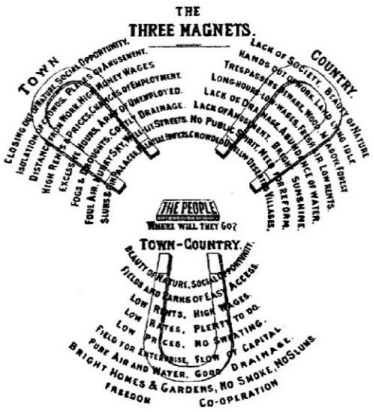

المغانط الثلاث كما رسمها هاورد في كتابه المدن الحدائقية 1902 يبين مساوئ ومزايا العيش في المدينة في اعلى اليسار والريف في اعلى اليمين وكيف يمكن للمدن الحدائقية ان تجمع ما بين مزايا الريف والمدينة معا وتجنب عيوبهما

2-1-1 الثورة الصناعية وتأثيرها على النسيج الحضري للمدن العربية

الإمبراطورية العثمانية بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر حافظت على النسيج الحضري الإسلامي، بيد أنها في فتراتها المتأخرة عملت كوسيط لانتقال التأثير الغربي ليتوغل الى المدن الإسلامية لاسيما بعد فتح القسطنطينية على يد المسلمين، فتأثرت العمارة الإسلامية هناك تأثراً كبيراً بالعمارة الكلاسيكية الغربية.

المدن الغربية خضعت لتأثير الثورة الصناعية بشكل سريع منذ القرن الثامن عشر، وكانت هذه المدن أول من تمتع بنعم التكنلوجيا، ولكنها أيضا اول من واجهت الاضرار السيئة الناجمة عنها.

وقد أدت **التجارة** دوراً كبيراً في احتكاك الدول الإسلامية بالدول الغربية بعد الثورة الصناعية. وما احرزته **التكنلوجيا** من تقدم في الملاحة البخارية التي سرعت من عملية التبادل التجاري وبأقل التكاليف، وكان من نتيجة هذا الاحتكاك التأثر بنظام تخطيط المدن الغربية في تلك الفترة، وأدت **التشريعات القانونية** أيضا دورا كبيرا كنتيجة تكميلية لعملية الاحتكاك التجاري، إذ إن الإمبراطورية العثمانية كانت قلقة دوما حول كيفية تنظيم مدنها والسيطرة عليها. فتم تقديم سلسلة من الإجراءات عرفت بالـ (تنظيمات) عن طريق إعادة تنظيم عرض الشوارع وفقا لدورها في نظام شبكة الطرق مع منع

اتباع نظام الازقة المغلقة النهاية **(Arnaud,2008,p5). إن اتباع هذه الإجراءات جاء من أجل السيطرة الأمنية على أزقة وشوارع مدن الإمبراطورية وهي إحدى تأثيرات الفكر الغربي على مدننا الإسلامية. لاحظ الشكل (4).**

أول المدن الإسلامية تأثرا بالتحولات الجذرية في نسيجها الحضري هي القاهرة، وذلك بعد زيارة محمد علي باشا الى فرنسا عام 1867 وتأثر بنسيج مدينة باريس. حيث صُمِمَت في القاهرة أحياء جديدة على غرار النسيج الحضري لباريس من خلال استغلال الاراضي الفارغة عند الجزء الجنوبي

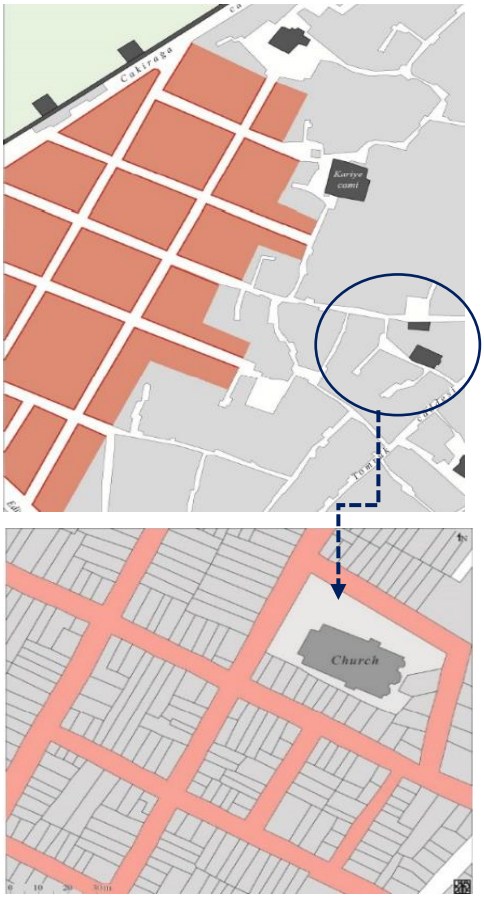

النسيج الحضري لإحدى احياء إسطنبول عرض وتخطيط الشوارع وفقا لقانون التنظيمات والذي فرض من قبل الحاكم للسيطرة الأمنية على المدينة .. ونلاحظ من خلال الشكل كيفية اقحام هذا التشكيل على النسيج الحضري

الشكل (4) يوضح النسيج الحضري لإحدى احياء إسطنبول

المصدر / (Arnaud,2008,p11,p16) بتصرف من الباحثة

الغربي من القاهرة ، وربط المدينتين من عدة محاور امتدت من مركز المدينة الجديدة الى مركز القاهرة القديمة **(Kiet,2011,p4)** لاحظ الشكل (5).

فقطعت الشوارع العريضة والمتعامدة شعاعيا الناتجة عن القرار القسري للحاكم اوصال النسيج العضوي المترابط، ولم يؤخذ بنظر الاعتبار البيئة الثقافية والطبيعية المحلية للمدينة، وهذا مثال للتقليد الاعمى والتأثر بالمظاهر السطحية فقط دون تقدير للعوامل المحفزة التي أدت الى حدوث هذه التغييرات عند المدن الغربية.

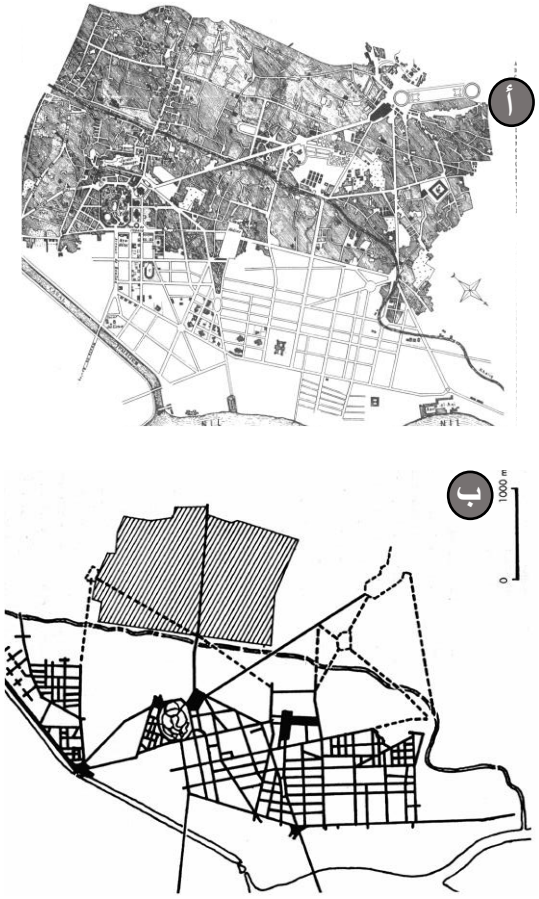

الشكل(5) يوضح مدينة القاهرة والتأثر بتكنلوجيا الثورة الصناعية لمدن الغرب. أ–شكل يوضح تقطع اوصال النسيج الحضري التقليدي من خلال شبكة الطرق القسرية ب–شكل يوضح نظام شبكة الطرق لمدينة القاهرة.

المصدر/ Emadel–Den , 2003 ,p23

2–1 الحرب العالمية الأولى وظهور اتجاه الحداثة

تأثير الثورة الصناعية والتكنلوجية تزايدت منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1918، حيث بدأت المجتمعات الغربية تنظر إلى الطرز الكلاسيكية السابقة في عصر النهضة على أنها غير صالحة، كما كانت لتتماشى مع التطورات التكنلوجية الجديدة التي تنوعت أساليب استخدامها

بمرور الزمن (**الشافعي , 1982 , ص210).** ويذكر كييت Kiet أنه في عام 1920 بدأت تتجلى اتجاهات حديثة في العمارة ،تمثلت **بحركة الحداثة** التي بداها كل من ميس فاندرو ولي كاربوزيه وغيرهم . وجاءت هذه الحركة كرد فعل لغياب العدالة الاجتماعية و كنتاج سلبي للثورة الصناعية قبل الحرب العالمية الأولى . وهذه الحركة كانت ضد التعبير عن الهوية الثقافية واستبدلتها بالوظيفية والكفاءة العقلية **(Kiet , pp40, 2011) فظهر العديد من الرؤى التي تدعو إلى قطع الصلة بالماضي حتى يتسنى ظهور عمارة تنسجم مع عصر التقنيات .**

و لأجل تلافي النتائج السلبية في مجال تشكيل النسيج الحضري وعمارته المتمثلة بالأكتظاظ السكاني و رداءة التهوية وعدم دخول الاشعاع الشمسي داخل الأبنية والوحدات السكنية فكانت هذه العوامل من أهم المحفزات لتصميم مدن جديدة، فظهرت رؤى عديدة وتوجهات حداثوية من بينها أفكار Le Corbusier, لاحظ الشكل(6). إذ حاول الاستفادة من التطور التكنلوجي من خلال اقتراح تصميم جديد لمركز مدينة باريس **(Johnson, 2008 , P5) . ويعتقد الباحثان أن المحفز الأول لهذا التطور التكنلوجي الكبير وظهور أتجاه العمارة الحديثة سببه العملية الاقتصادية، إذ كانت المدن الاوربية منهكة من الحروب وكان المطلوب إعادة اعمار لهذه المدن على نطاق واسع و توفير سكن ملائم لهذه المجتمعات فحفزت هذه الحاجة إلى ضرورة بناء مدن جديدة في وقت سريع وهذا انعكس على تشكيل النسيج .**

فالنسيج الحضري بعد الحرب العالمية الأولى تميز بالآتي:

- اللجوء إلى النسيج الشبكي المنتظم كونه يحقق تصميم سريع ومتين في الوقت نفسه، ولتحقيق هذه الغاية حفزت هذه الحاجة أيضا إلى اختراع مواد جديدة لتلبي المتطلبات المذكورة انفا.
- الاقتصاد في البناء وتبسيطه فاختزلوا في كل شيء واستخدموا هياكل كتلية من دون أي تفاصيل لغرض التقليل من التكاليف.
- الغي استخدام الطابوق والحجر، ولم يعد لها أي عمل انشائي كما كانت في الطرز السابقة ،واستعيض عنها بالحديد والخرسانة المسلحة فساعدت خواص هذه المواد الانشائية على سهولة التصميم المكون من خطوط راسية وأفقية ومن نظام متكرر، وساعدت أيضا على الإكثار من عمل الفتحات من أبواب ونوافذ وبمساحات واسعة وبما يخدم كلاً من الوظيفة وسهولة الاستخدام. وكان لاستخدام الحديد والصلب نتائجه، ليس فقط على مستوى طرق وأساليب البناء، وأنما لها تأثير غير مباشر في اختراع السيارات التي أصبحت من لوازم الحياة للناس وعلى اختلاف طبقاتهم، وما انتجته من أثار انعكست على تشكيل نسيج المدن، حيث اصبحت جميع جوانب الحياة الحضرية تتكيف تبعا لحركة المرور **(الشافعي , 1982 , ص210).**

النسيج الحضري يتميز بنمط التوجهه نحو الخارج اذ يحيط الفضاء المفتوح الكتل من جميع الجهات

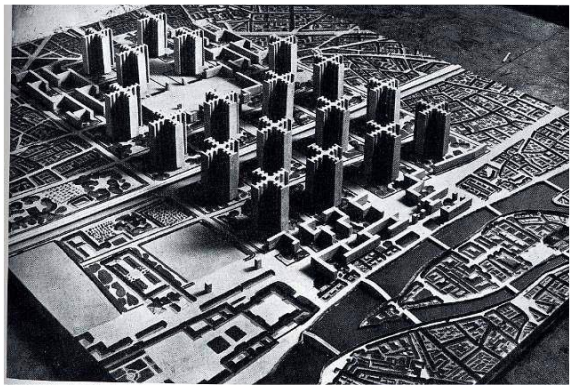

شكل(6) يوضح مقترح لي كاربوزية لتطوير مركز مدينة باريس
المصدر/(Johnson, 2008 , P4)

3-1 الاستعمار الغربي وتطور النسيج الحضري للمدن العربية المستعمرة

تأثير الفكر الغربي حدث بعد تفكك الإمبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى فوزعت أملاك هذه الإمبراطورية للدول الاوربية المستعمرة والتي كانت في تلك الفترة بأمس الحاجة لموارد وأسواق ومصالح تجارية جديدة. فبسطت نفوذها على المدن الإسلامية واخضعتها للتوجهات الحداثوية الجديدة وللاقتصاد الجديد القائم على الإنتاج الصناعي **وفي هذه الفترة بالذات انقطع التواصل**

الحضاري للمدن الإسلامية مع بيئتها الثقافية والطبيعية وفي المقابل استمرار السلسلة الحضارية للمدن الاوربية .

الاستعمار الغربي أعتمد نفس الحلول والمعالجات التي تم ذكرها ضمن الفقرة **(1-1-1)** فيما يخص تطوير النسيج الحضري لمدنهم على المدن الإسلامية بغض النظر عن الاختلاف الجذري ما بين البيئتين الثقافية والطبيعية عن طريق:

- قطع اوصال النسيج الحضري المتضام ذو الأزقة الضيقة والمتعرجة من خلال شق الطرق الواسعة والعريضة الـ boulevards بشكل قسري وبقرار سلطوي وذلك لغرض الحماية وفرض السيطرة الأمنية على الاحياء السكنية لكون الازقة الضيقة لا تتيح إمكانية للحركة السريعة للقوات المستعمرة في حالة حدوث أي حالة اضطراب، فضلا عن أهميتها لحركة المرور، وهذا العمل ينطوي عليه هدم أجزاء من النسيج الحضري.

- تشييد مدن جديدة على أراض بكر لاحظ الشكل (7) لإقامة المصانع والأنشطة الاقتصادية وأبنية خدمية وسكنية. وتصميم هذه المدن اعتمد على النهج نفسه للمدن الغربية كالتنظيم الشبكي المنتظم أو على نمط التخطيط الشعاعي لمدينة باريس أو من خلال دمج كلا النظامين الشبكي والشعاعي معا، فضلا عن ذلك، اعتماد نمط المدن الحدائقية في تصميم الاحياء السكنية **(Jaber, 2013, P3)** التي تتميز بشبكة طرق واسعة ذات انحناءات ومنعطفات متعددة تصطف على جانبيها الوحدات السكنية بهيئة كتل قائمة بذاتها ومحاطة بالحدائق والفضاءات المفتوحة. لاحظ الشكل (8) (9).

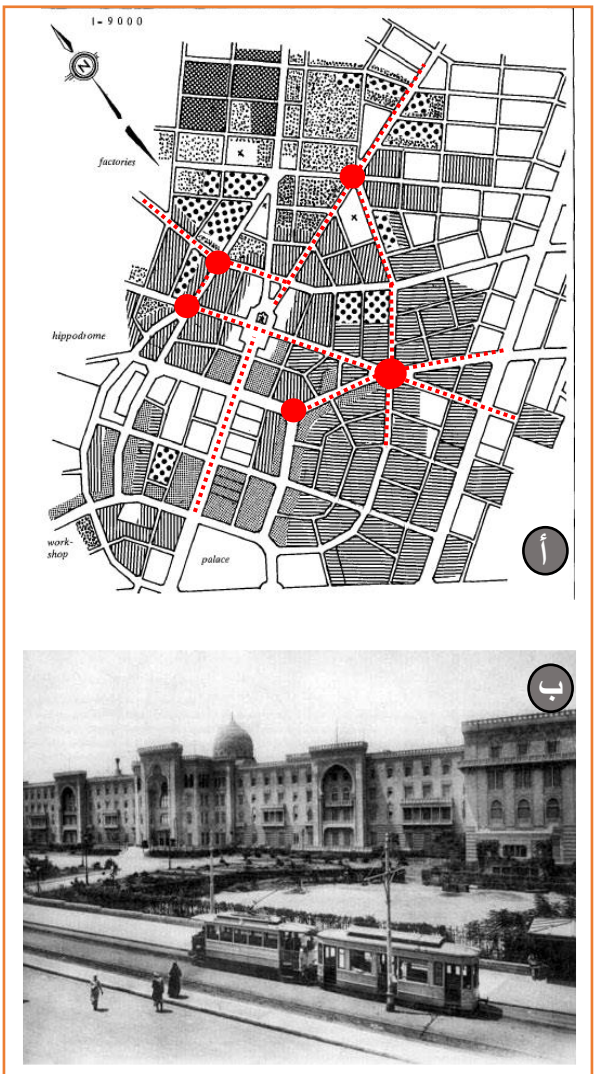

الشكل (7) يوضح النسيج الحضري لمدينة مصر الجديدة احدى المدن التي صممت على أراضي بكر من قبل الاستعمار
أ-شكل يوضح نسيج المدينة ب- صورة توضيحية لاحد شوارع المدينة
المصدر/Ilbert,1984,p38

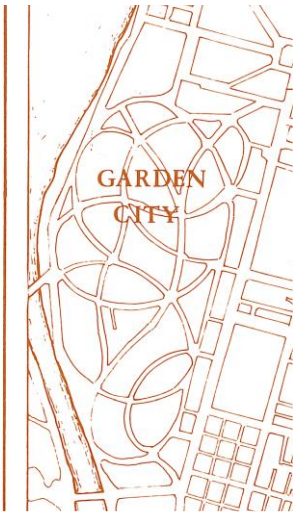

هيمنة التخطيط الحديث الذي جاء به المستعمر على النسيج الحضري العضوي لمدينة القاهرة ، مستخدما ثلاث أنواع من الانسجة النمط الشعاعي والنمط الشبكي المنتظم والمدن الحدائقية .

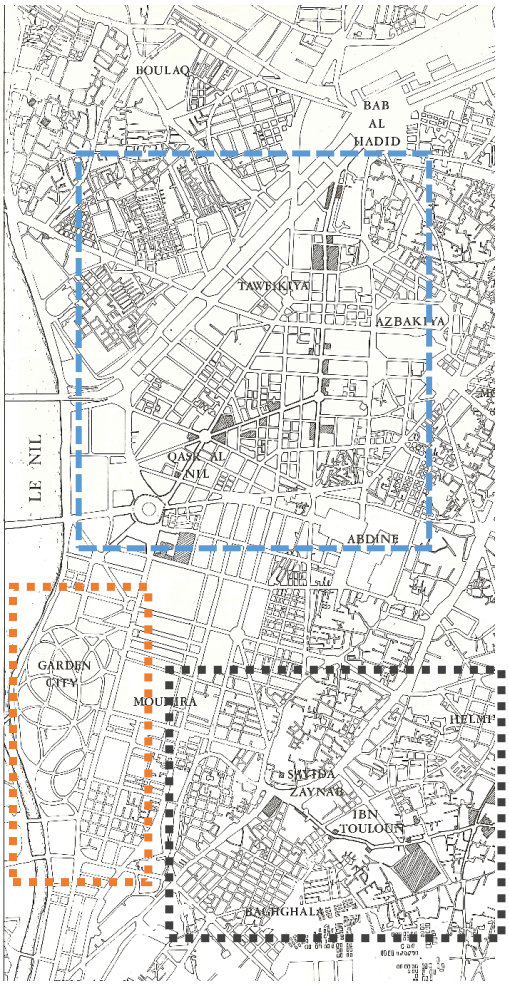

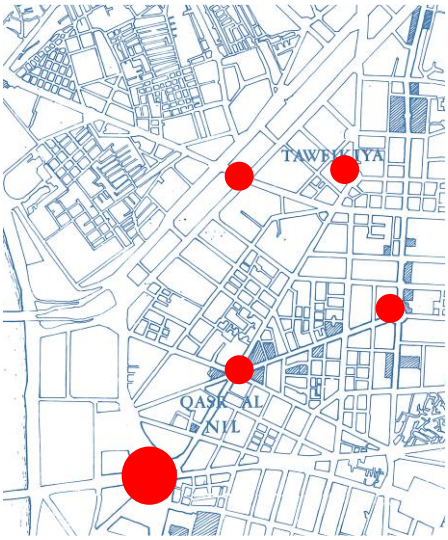

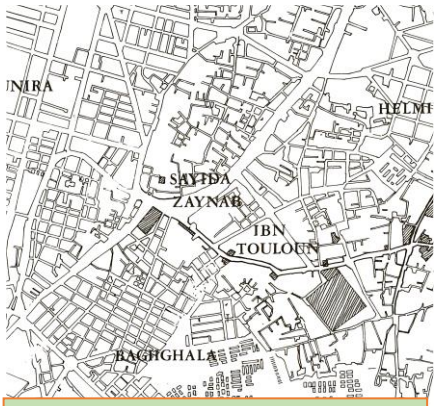

بقايا من النسيج العضوي المتضام لمدينة القاهرة

الشكل (8) يوضح جزء من النسيج الحضري التقليدي لمدينة القاهرة واهم لتطورات التي طرات على النسيج

المصدر/ (Khan,1984,p8)

بتصرف من قبل الباحثة

الشكل (9) يوضح أوجه التشابه القوي ما بين النسيج الحضري للقاهرة وباريس مع ميدان التحرير على اليسار وساحة شارل ديغول ايتوال في باريس على اليمين

المصدر/ Serag, 2013,p6

4-1 المدن العربية بعد الاستعمار

النسيج الحضري للمجتمعات المسلمة تأثر بمعايير النموذج الغربي وبأنظمة الحكم خلال فترة الاستعمار، فاصبح هذا التأثير متأصل في المدن الإسلامية إلى درجة أنه حتى بعد الاستقلال لم تخضع هذه المعايير الى تقويم أو مراجعة . وتعززت هذه المبادئ بالطبقة الحاكمة الذين عملوا كعملاء داخليين للغرب والذين فضلوا هذه الامتيازات الخاصة من أجل السيطرة الاجتماعية والسياسية **(jaber, 2013, p35)** ، وتعزيزا لذلك، فقد تزامن مع هذه الفترة تخرج العديد من المخططين والمعماريين العرب الذين ذهبوا في بعثات دراسية إلى كل من المانيا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية فتتلمذوا على أيديهم وتشبعوا بالتوجهات والنظريات المعمارية التي تخص البيئة الثقافية والطبيعية للمدن الاوربية **(الشافعي , 1982 , ص215)** .

أن مواجهة الامتداد السريع الذي جرى في العديد من المدن الإسلامية بصورة عامة، والعربية بصورة خاصة، بسبب تزايد اعداد السكان نتيجة الهجرة من الريف الى المدينة، أدى الى أن أغلب المخططين والمسؤولين المحليين الذين درسوا في المدن الاوربية بعد عودتهم إلى اوطانهم اخذوا يطبقون كل ما تعلموه هناك من أساليب تخطيطية حديثة فواصلوا اعتماد التنظيم الشبكي المنتظم للنسيج لكونه تنظيم سريع ومتين واقل كلفة كما مبين في الشكل (10).

5-1 اكتشاف النفط وتاثيره على تطور النسيج الحضري للمدن العربية

اكتشاف النفط سهل عملية تطور النسيج الحضري لمدننا المعاصرة ، اذ أدى هذا الاكتشاف الى جلب مصادر جديدة للثروة والقوة ومن ثم انتعاش وزيادة العائدات المالية لهذه المدن ، وبدأت بفتح أسواقها للاستثمارات العالمية وبدأت تتنافس هذه المدن فيما بينها لتحقيق النجاحات الاقتصادية على الرغم من كونها مدن تقليدية محافظة ، إلا أنها دخلت ضمن السباق نحو التطور التكنلوجي **(Jaber, 2013, P39)** ، وساعد في ذلك العائدات المالية النفطية فقامت أنظمة الحكم باستثمار هذه الأموال عن طريق وضع مناهج ومشاريع حضرية متطورة لتعكس القوة الاقتصادية لتلك المدن . هذه الحاجة حفزت على الاستعانة بالخبراء الأجانب بسبب غياب الثقافة المحلية ضمن هذا المضمار . ظهرت هذه المشكلة بوضوح في اغلب دول الخليج كالسعودية والكويت والبحرين وغيرهم، حيث أن كافة مدنهم أقيم لها تخطيط من إعداد شركات أستشارية أجنبية وكل شركة من هذه الشركات لا تحاول التكيف مع ظروف البيئة الثقافية والطبيعية لذلك البلد وإنما تطبق كافة معاييرهم التخطيطية لبلدانهم على نسيج المدينة الإسلامية بدون أي تعديل أو تكييف **(إبراهيم ، 1978 ، ص49)** كما موضح في الشكل (11).

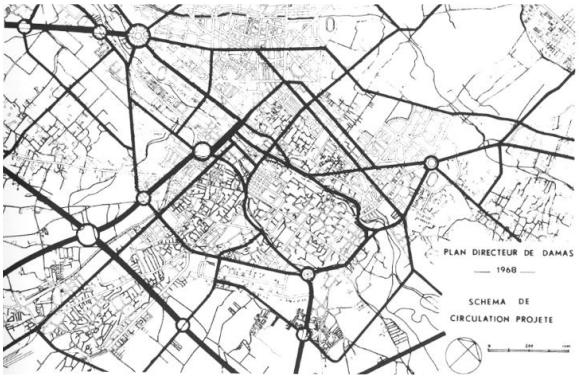

الشكل (10) النسيج الحضري لمدينة دمشق عام 1965 يوضح التأثر بالنظام الغربي في التخطيط. المصدر/ Kiet, 2011,p40

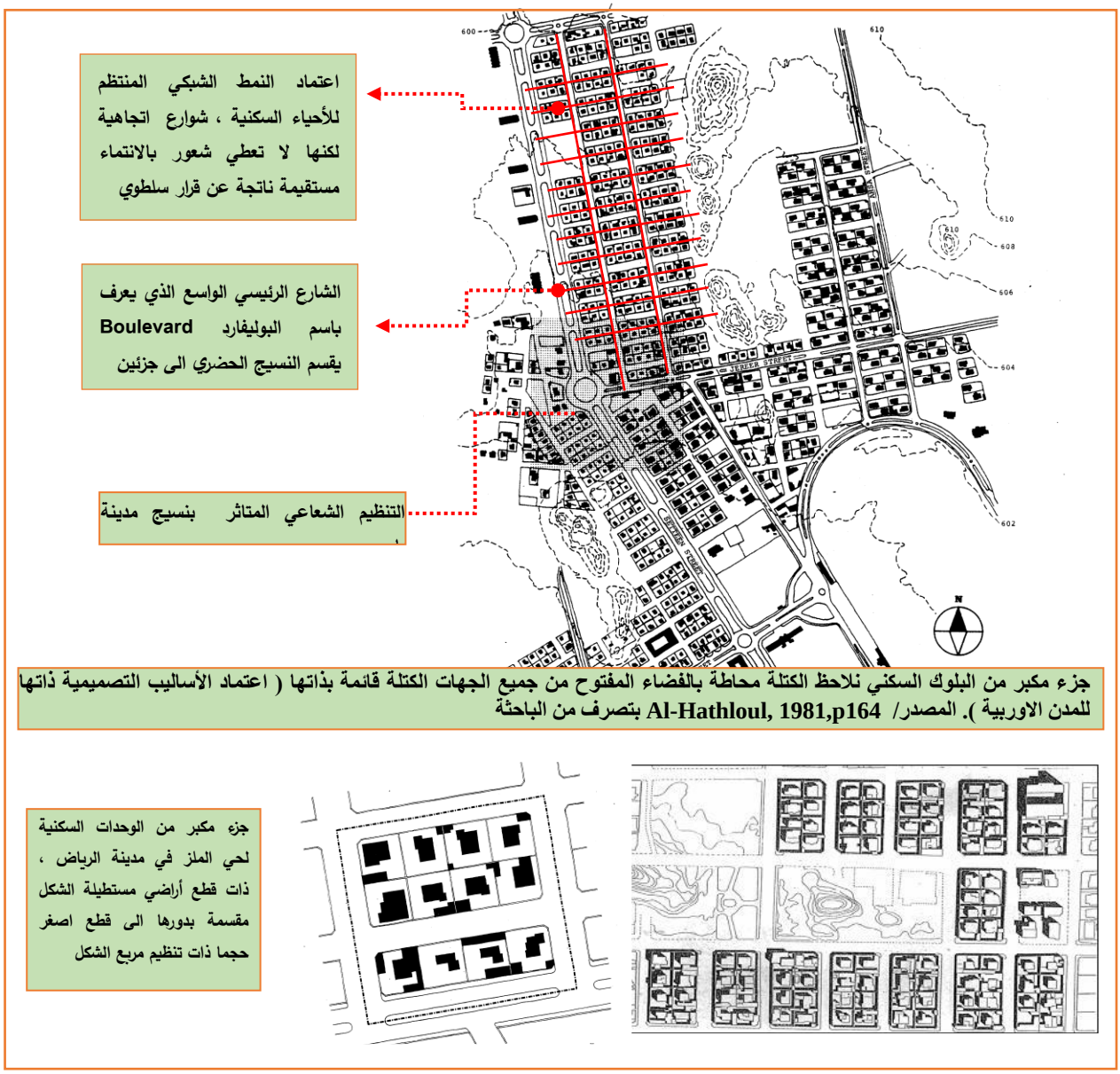

الشكل (11) النسيج الحضري لحي الملز في مدينة الرياض من تصميم مكاتب هندسية اجنبية

المصدر/ Al-Hathloul, 1981,p169

2- الوسائل التي عززت التأثر بالحداثة الغربية

ذكرنا في الفقرات أعلاه أن تأثير الفكر الغربي وثقافته على المدن الإسلامية قد حصل على عدة مراحل وعلى فترات زمنية معينة، وكل فترة من هذه الفترات أحدثت شرخا في النسيج الحضري الإسلامي أدت الى تفككه تدريجيا، وضمن هذه الفقرة سنتطرق إلى الوسائل التي عززت من هذا التأثير وبشكل سلبي وهي كالاتي:

2-1 التطور التكنلوجي

التطور التكنلوجي لوسائل النقل برا وبحرا وجوا، سهل من التقاء المراكز الحضارية من مختلف مناطق العالم فلم يعد يفصل بينها إلا بضع ساعات عن طريق وسائل النقل وبضع ثوانٍ في العالم الالكتروني ، زاد ذلك من اطلاع الدول العربية على أنماط الحياة الاوربية والأمريكية ذات الاقتصاد المزدهر واصبح أفراد المجتمع الإسلامي يسعون للحصول على أنماط المساكن الكبيرة المتمثلة بالفلل و رغد

العيش الذي يظهر على شاشات التلفاز والمجلات، والاستفادة القصوى من التكنلوجيا المتطورة. هذه السرعة التي تسوق عصرنا انعكست على حركتنا فاندفعنا اندفاعا كبيرا بحيث لم نعد قادرين على تلمس مواقع خطواتنا لتجنب الزلل ومن ثم الانكباب على الوجوه **(الهنداوي , 2013 , ص244) .**

2-2 البعثات الدراسية

تخرج العديد من المخططين والمعماريين العرب الذين ذهبوا في بعثات دراسية إلى أوربا فعادوا إلى أوطانهم وطبقوا الأساليب التخطيطية الحديثة على مدننا من دون تكييف مع البيئة الثقافية والطبيعية.

3-2 دور المخططين الاجانب

إن للمخططين الاستشاريين الأجانب دورا كبيرا في طمس شخصية المدينة الإسلامية ونسيجها الحضري المميز وتظهر هذه المشكلة بوضوح في دول الخليج، حيث إن مدنهم وقراهم كافة أقيم لها تخطيط من إعداد شركات استشارية أجنبية وكل شركة من هذه الشركات لا تحاول التكيف مع ظروف البيئة الثقافية والطبيعية لذلك البلد، كما أنها تطبق معاييرهم التخطيطية لبلدانهم كافة على نسيج المدينة الإسلامية من دون أي تعديل أو تكييف.

4-2 التصرفات الفردية

التصرفات الفردية غير الواعية والنظرة المادية البحتة إلى جوانب الأمور بهدف تحقيق أكبر كسب مادي عن طريق استغلال كل متر من الأرض والتوفير في المساحات واستعمال ارخص المواد، وسلوك اسهل الطرق للوصول إلى النفع المادي، وتقديم الأمور المادية البحتة على الإنسانية والروحانية ، تلك العوامل مجتمعة أسهمت في تدمير ما بقي من النسيج الحضري التقليدي ، فظهرت الأبنية الضخمة العالية ذات الطرز الاوربية الغربية تقف إلى جوار الأبنية التراثية التي أصبحت أبنية غريبة بجوار عملاق ضخم ينافسها في المكانة وافسد من الصورة البصرية للمدينة. كما في منطقة الحرم المكي الشريف حيث تظهر كتل الأبنية العالية التي يزيد عدد طوابقها عن العشرين طابق منافسة ومهيمنة على مآذن الحرم الشريف متضائلا بجوارها أروقة الحرم نفسه **(إبراهيم ، 1978 ، ص47).**

5-2 المكاسب الاقتصادية

الافراد الذين لا يلاحظون سوى المكاسب الاقتصادية في عملية التصميم أو التخطيط سواء عن قصد أو غير قصد ففي كلا الوضعين سيكونون عاجزين عن بلوغ حقيقة الأمور ومن ثم سيكونون أسرى لمشاهداتهم السطحية خاصة لما يجري في البلدان المتطورة والصناعية التي تمكنت من أن تشكل حضارة مدنية حديثة وأن تعزز من كيان مجتمعاتها. وأن الباحثين عن المكاسب الاقتصادية لو ركزوا جيدا على ما يجري في تلك البلدان لوجدوه شيئاً مختلفاً تماما فهي ثروة حضارية إنسانية مستمرة **(الهنداوي , 2013 , ص251) بينما أصبحنا نحن أسرى لهذه المكاسب وأصبح همنا هو ترويج البضاعة كيفما امكن، وإعطاء الاسبقية للاقتصاد ومصالحه ونفوذه، وهذه الوسيلة مرتبطة أيضا بالتجارة.**

6-2 التجارة

تعتقد الباحثة أن عملية التبادل التجاري ما بين المدن الغربية والمدن الإسلامية لها دور كبير أيضا في زيادة هذا التأثير. فالتجار أو العمال أو الحرفيون يستوردون ما يشاهدونه في تلك الدول المتقدمة من مواد بناء متطورة أو تقنيات بنائية معينة، وعملية الاستيراد هذه تتم بصورة مباشرة من دون تفكير أو تحليل مسبق للأمور، وإنما تقحم هذه المواد على الأبنية المختلفة للنسيج كونها تحقق مكاسب اقتصادية لهؤلاء الافراد، ولا تقتصر عملية الاستيراد على ما ذكر أعلاه فقط، وانما قد يتأثرون حتى بأسلوب الحياة ونمط العيش لتلك الدول.

3- مشكلة المدن العربية المعاصرة

كان النسيج الحضري لمدننا الإسلامية بارز الصفات وواضح الشخصية والمعالم، لكنه أصبح اليوم نسخة منقولة عن أي نسيج حضري لأي مدينة اوربية او أمريكية. وعملية النسخ هذه تنجح مرة وتخفق عشرات المرات مما نجم عنها

نسيج حضري ممسوخ لا يعكس بيئتنا الثقافية والطبيعية، متناسين أن تلك الطرز الاوربية الغربية التي وجدت في تلك الدول هي نتاج سلسلة حضارية مستمرة عبر التاريخ نابعة عن احتياجات ورغبات تلك الشعوب ومن ثم جاءت معبرة عن ذاتهم وبيئتهم الثقافية والطبيعية.

من أكثر مظاهر التحول خطورة التي شهدها النسيج الحضري لمدننا اليوم هو فقدان عاملي الحماية والخصوصية وقدسية الحياة الاسرية وبالنتيجة فقدان الترابط ما بين افراد المجتمع وازدياد روح الفردية لديهم الذي بدوره انعكس على تشكيل النسيج الحضري، الذي اتسم بالتفكك وفقدان وحدته التكوينية، وازدياد التعرض للتقلبات الجوية. وأصبحت المكاسب الاقتصادية من العوامل المهيمنة على تشكيل النسيج إذ إن الأراضي لم تعد تقسم وفق الاحتياجات الفردية للأفراد أو وفق إمكانياتهم الاقتصادية، وإنما تم تقسيمها بقرار سلطوي بشكل موحد للحصول على الحد الأقصى من العائدات والايرادات. ونتيجة لذلك أصبح النسيج الحضري للأحياء السكنية ذا تقسيمات ذات قطع أراضٍ متساوية في الحجم تستهدف فئات متجانسة اجتماعيا ومادياً. فضلا لما ذكر أعلاه فان من أهم المظاهر السلبية والمشاكل التي يواجهها نسيج المدن الإسلامية، هي ظاهرة هيمنة وسائل النقل على حياة المدينة الحديثة، فاضعف ذلك من القيم الإنسانية والتعبير الحضاري لنسيج المدينة الاسلامية فامتدت الأسواق والمعارض امتدادا طوليا على استقامة واحدة بموازاة الشوارع و حركة السيارات فضاعت بذلك قيم ومعالم المدينة حيث فقدت الشوارع التقليدية وفضاءاتها وملامح ابنيتها واسواقها إلى اجواءئها الحميمية **(الهنداوي، 2013، ص231).**

4- الاستنتاجات

1- إن البيئة الثقافية والطبيعية وتفاعلها مع حاجة الإنسان للحماية والخصوصية فضلا عن التفاعل مع التأثيرات الخارجية لحضارات أخرى والتكيف معها كانت هي المحفز الأساسي لتشكيل النسيج الحضري للمدن الإسلامية. ولكن بعد قيام الثورة الصناعية أصبحت المظاهر التكنلوجية التي تعد إحدى العوامل الثقافية هي العامل الرئيسي والمهيمن بشكل كبير على تشكيل النسيج لمدننا الإسلامية، مما أدى إلى اختلال في توازن هذه العوامل فسبب ظهور المشاكل الحضرية التي يحاول العديد من المعماريين والمخططين إيجاد حلول مستمرة لها حتى وقتنا الحالي.

2- التنمية والتطور عند الغرب مستمد من استمرارية حضارية لتلك المدن، فالثورة الصناعية تشكلت بمبادرة من تلك المجتمعات، بيد أن الدول الشرقية من العالم الإسلامي قد قبلت النتائج المفروضة من قبلهم ومعترفة بها، كونها السبيل الوحيد للتقدم.

3- حصل انقطاع للسلسلة الحضارية بفعل التأثير الغربي ولم يأخذ بنظر الاعتبار الفلسفة الفكرية التي اتبعتها المدن الاسلامية التقليدية سابقا، مما جعل اغلب مدننا متشابه من حيث التصميم بالمدن الاوربية فلم يعد هناك تميز وهوية حضرية لمدينة عن الأخرى.

4- ان تاثير الفكر الغربي على تطور نسيج المدن الاسلامية كان على عدة مراحل وكل مرحلة من هذه المراحل انعكس على النسيج الحضري لمدننا المعاصره وكما يأتي :

- **الاستعمار الغربي**

في هذه الفترة انقطع التواصل الحضاري للمدن الإسلامية مع بيئتها الثقافية والطبيعية، فقطعت اوصال النسيج الحضري المتضام ذا الأزقة الضيقة والمتعرجة عن طريق شق الطرق الواسعة والعريضة ال boulevards بشكل قسري وبقرار سلطوي، وذلك لغرض الحماية وفرض السيطرة الأمنية على الاحياء السكنية، لكون الازقة الضيقة لا تتيح إمكانية للحركة السريعة.

- **المدن العربية بعد الاستعمار**

اغلب المخططين والمسؤولين المحليين الذين درسوا في المدن الأوربية بعد عودتهم الى اوطانهم ساروا على الطريق نفسه وأخذوا يطبقون كل ما تعلموه هناك من أساليب

تخطيطية حديثة فواصلوا اعتماد التنظيم الشبكي المنتظم للنسيج لكونه تنظيما سريعا ومتينا وأقل كلفة.

- **اكتشاف النفط وتأثيره على تطور النسيج الحضري للمدن العربية**

قامت أنظمة الحكم باستثمار العائدات المالية النفطية عن طريق وضع مناهج ومشاريع حضرية متطورة لتعكس القوة الاقتصادية لتلك المدن ، هذه الحاجة حفزت على الاستعانة بالخبراء الأجانب بسبب غياب الثقافة المحلية ضمن هذا المضمار.

- **المدن العربية المعاصرة اليوم**

العالم الإسلامي بصوره عامة والعربي بصورة خاصة يقف امام التطور التكنلوجي الغربي مبهورا لا يملك امام تياره المتدفق سوى أن يرمي خلف ظهره ما بقي معه من تراث ليغترف ما امكنه من هذا التطور ليتماشى مع متطلبات عصره ولكن فاته أن يطوعها ويكيفها مع بيئته الثقافية والطبيعية. فظهرت نتائج سلبية ناجمة عن هذا التطور انعكست علىالنسيج الحضري سببها عدم الانطلاق من تحليل للبيئة الثقافية والطبيعية الخاصة وعدم الاخذ بنظر الاعتبار حاجات المجتمع ورغباته.

5- الهوامش

(1) هوسمان Haussmann ولد في 27 مارس 1809 في باريس، شغل منصب محافظ بلدية السين، عين من قبل نابليون الثالث لإقامة تخطيط جديد لمدينة باريس.

(2) Ebenezer Howard مؤسس حركة المدن الحدائقية.

6- قائمة المصادر

[1] Al-Kaissi Saher Mohamad, (**The Influence of Natural and Cultural Environment on the Fabric of the City with Special Reference to Iraq)**, A Thesis Submitted to The University of Sheffield for the Degree of Doctor of Philosophy - Department of Town and Regional Planning, 1983.

[2] Jaber, Sylvia, "**Urban Streets *Towards Sustainable Mobility in Arabic Cities***", 1st Edition, Stuttgart, University of Stuttgart, 2013.

[3] Serag, Y, **"The Haussmanization approach: From a counter revolution urban fabric to a success factor for the Egyptian revolution in Cairo"**, in: Proceedings of B13-Cairo Conference, 2013, pp. 01-13.

[4] Panerai, Philippe and others, "**Urban Forms the Death and Life of the Urban Block**", 2nd Edition, Translated from the Original French by Olga Vitale Samuels, 1st Edition, Britain, Architectural Press, 2004.

[5] Paraskevas, Frederique, "**Tahrir Square and Haussmann's Paris: Physical Manifestations of Political Doctrines**", Hts Seminar Paper, Ross Exo-Adams Architectural Association, 2011.

[6] Johnson, Craig, "**Green Modernism: The Irony of the Modern Garden Cities in Southeast Asia***"*, paper to the 44th ISOCARP Congress, the Hague: international society of city and regional planners, 2008.

[7] Burke, Gerald, **Towns in the Making**, 2nd Edition, Britain, Fletcher and son Lts, 1975.

[8] Arnaud, Jean-Luc, "Modernization of the Cities of the Ottoman Empire (1800–1920)," In the City in the Islamic World, edited by Salma K. Jayyusi, Renata Holod, and Attilio Petruccioli, pp775-793. Leiden: Brill, 2008.

[9] Kiet, Anthony, "**Arab Culture and Urban Form**", Focus, Vol**. 8**, Issue. 1, Article 10, 2011, pp35-45.

[10] Emad EL-Den A. H. Ali, "**Visual Design Guidelines for Edium-Sized Cities, the Case of El-Minya City-Egypt**", *PhD thesis*, University of Stuttgart, collage of Architecture and City Planning, 8 August 2003.

[11] الشـافعي، فريـد محمـود، **"العمـارة العربيـة الإسـلامية ـماضـيها حاضـرها ومسـتقبلها "**، المملكـة العربيـة السـعودية، الطبعـة الأولـى، الطباعة العربية السعودية، 1982.

[12] Ilbert, Robert. "**Heliopolis: Colonial Enterprise and Town Planning Success**". In the Expanding Metropolis: Coping with the Urban Growth of Cairo, proceedings of Seminar Nine in the series Architectural Transformations in the Islamic World. Held in Cairo, Egypt, November 11-15, 1984.

[13] Khan, Hasan Uddin," **Cairo: A Guide to the City**", Mimar Architecture in Development, Singapore: Concept Media Ltd., 1984.

[14] ابراهيم، حازم محمد و ابـراهيم ، شـريف محمـد، **"الطابع الحضاري للمدينة العربية الاسلامية فـي القرن العشـرين "**، مركـز الدراسـات التخطيطيـة والمعمارية، القاهرة، 1978.

[15] Al-Hathloul, Saleh **A.,** "**Tradition, Continuity and Change in The Physical Environment: The Arab-Muslim' City**" Ph.D. In Architecture, Massachusetts Institute of Technology February **1981.**

[16] الهنـداوي، حسـين، **"محمـد مكيـة والعمـران المعاصر"**، الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربيـة للعلوم ناشرون، 2013.